الادراك الأميركي المتغير للقضية الفلسطينية

د. نبيل حيدري

اخيراً، تغيّرت الادارة في الولايات المتحدة الاميركية، فمرّ الرئيس رونالد ريغان، وذهب معه وزير خارجيته ومستشاره للامن القومي، وحتى بعض الناطقين باسمه. وفي خضمّ هذا التحوّل في الاسماء، والاشكال، والنبرات، لا نزال نبحث في ملامح وجه الرئيس الآتي ووجوه من حملهم معه الى البيت الابيض عن اسباب للامل، وفي الاعتقاد، على الارجح، ان لدى واشنطن امكانات حلّ ممكن لبعض مصائبنا. وفي ما خص منظمة التحرير الفلسطينية، زادت ثلاثة عناصر هامة في حدّة ترقّبها للجديد الآتي، وهـذه العناصر هي زخم الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة، والتحوّل العميق الذي شهدته في مواقفها، ورهانها المستجد على مشروع الحوار مع واشنطن.

تحاول هذه الدراسة، اذاً، فهم التصور الاميركي «الفلسطيني» ـ اذا جاز التعبير ـ ويعني هذا الامر، بالذات، مقاربة هذا التصور من زاوية التحديات التي واجهتها الادارة السابقة، وفشلها، الى حد كبير، فيها، ثمّ محاولة تبصّر السمات الاساسية للعناصر الفكرية التي ادت الى نموّ تيّار فكري سائـد يحمل في طياته اعادة نظر جوهرية في وسائل معالجة هذه التحديات، وبتنويه خاص ببعض المفكرين الاكثر تأثيراً في صنع القرار الخارجي، مع الاشارة، بصورة عرضية، الى مجمل التعيينات في طاقم الادارة الجديد، اضافة الى استخلاص بعض ملامح السياسة الاميركية في المنطقة للسنوات الاربع المقبلة.

يجدر التشديد، في البداية، على اهمية دور المفكر في التأثير في صنع القرار الخارجي في الولايات المتحـدة. لقد استلهم العديد من الكتاب، ولو جزئياً، المنهج الفيبري (نسبة الى ماكس فيبر) في تنميطه المثالي لكل من المفكر وصانع القرار، وتقديم كل منهما في صورة مغرقة في النقاء[1]. فالمفكر، حسب هؤلاء، يتعامل مع المعضلات الكبرى وإعمال الذهن في تحليلها، والبيان في صوغها، والخيال في ايجاد الحلول لها؛ وإنْ هو اهتم بالقضايا التفصيلية الجزئية، فمن اجل ربطها بصورة محكمة، بهدف الوصول الى انساق شمولية؛ وإن هو تعامل مع ما هو نسبي وملموس وبراغماتي، فمن اجل السعي الى المطلق والمجرّد والمثالي. امّا صانع القرار الذي يتابع ما يجري عن كثب، فهو مفرط، اجمالاً، في اهتمامه بالنواحي السياسية شديدة التماس بالواقع، ولا يستطيع، بالتالي، الاستدلال منها على ما هو اعمق وأبعد مدى. ومن المفيد، في سياق التفكير الاميركي تجاه منطقتنا، ان نقتطف من مداخلة للمدير التنفيذي لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، مارتن انديك، تأكيداً لهذا التنميط، في قوله: «ان السياسة، في واشنطن، لا تصنع من فراغ؛ فالافكار والتحليلات والمحاججات تصبّ، بمجملها، في بوتقة صنع السياسة؛ كما ان مراكز البحوث في واشنطن، وفي باقي البلاد، هي التي تنتج الافكار التي لها دور حاسم في صنع سياسة الولايات المتحدة الخارجية». امّا بالنسبة الى قضايا الشرق